



انتشر في وسائل الاتصال السريع بعد ما وقع لإخواننا في بلاد الشام على يد الطاغية الهالك بشار من مجازر في دمشق وريفيها، حديث الملحمـة الكـبرـى الذي أخرجه أبو داود 210، والحاكم 486، وأحمد 5/197 وقال الحاكم: صحيح الإسنـاد ووافـقه الـذهـبـي وأقرـه المنـذـري 4/63 وصـحـحـهـ الأـلـبـانـيـ فـيـ فـضـائـلـ الشـامـ (14)ـ منـ حـدـيـثـ أـبـيـ الدـرـداءـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ:

«فسطاط المسلمين يوم الملحمـةـ بالـغـوـطـةـ إـلـىـ جـاـبـ مـدـيـنـةـ يـقـالـ لـهـ دـمـشـقـ مـنـ خـيـرـ مـدـائـنـ الشـامـ»ـ وفيـ روـاـيـةـ ثـانـيـةـ قـالـ سـمعـتـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـقـولـ: «يـوـمـ الـمـلـحـمـةـ الـكـبـرـىـ فـسـطـاطـ الـمـلـمـلـمـينـ بـأـرـضـ يـقـالـ لـهـ الـغـوـطـةـ،ـ فـيـهـ مـدـيـنـةـ يـقـالـ لـهـ دـمـشـقـ خـيـرـ مـنـازـلـ الـمـلـمـلـمـينـ يـوـمـئـدـ»ـ.

وحاول البعض ربط هذه الأحاديث بما يجري في دمشق، وهذا ما يعرف عند أهل العلم بتنزيل أحاديث الفتن على الواقع، وقد حصل في هذا الباب عبـثـ منـ بـعـضـ الـكـتـابـ وـالـمـؤـلـفـينـ وـصـغـارـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ،ـ وـماـ تـقـدـمـ مـثـالـ يـسـيرـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ الـتـيـ لـيـسـ حـدـيـثـةـ،ـ كـمـ حـاـوـلـ الـبـعـضـ سـابـقاـ إـسـقـاطـ أـحـادـيـثـ السـفـيـانـيـ عـلـىـ صـدـامـ حـسـيـنـ،ـ وـأـنـ الجـبـلـ الـذـيـ يـنـحـسـرـ عـنـ نـهـرـ الـفـرـاتـ هوـ الـبـترـوـلـ؛ـ لـأـنـ لـونـهـ أـسـوـدـ،ـ بـلـ إـنـ بـعـضـهـمـ يـتـجـاـزـوـزـ هـذـاـ إـلـىـ رـسـمـ التـفـاصـيـلـ وـصـيـاغـةـ الـأـحـدـاثـ وـكـأـنـهـ يـكـتـبـ قـصـةـ بـوـلـيـسـيـةـ،ـ وـالـبـعـضـ كـتـبـ مـؤـلـفـاـ حـوـلـ السـيـنـارـيـوـ الـقـادـمـ لـأـحـادـاثـ آـخـرـ الـزـمـانــ.

ومـاـزـالـتـ وـسـائـلـ التـواـصـلـ حـدـيـثـاـ وـمـطـابـعـ قـدـيـمـاـ تـقـذـفـ بـعـشـرـاتـ الـمـؤـلـفـاتـ وـالـمـقـالـاتـ فـيـ الـخـوـضـ فـيـ أـشـرـاطـ السـاعـةـ مـرـةـ بـحـقـ،ـ وـعـشـرـاتـ الـمـرـاتـ بـالـبـاطـلـ،ـ لـأـنـ الـنـفـوسـ الـبـشـرـيـةـ مـوـلـعـةـ بـتـتـبـعـ أـخـبـارـهـ،ـ لـمـ فـيـهـ مـنـ تـنبـؤـاتـ مـسـتـقـبـلـةـ وـأـخـبـارـ غـيـبـيـةـ،ـ لـكـنـ الـعـاقـلـ يـدـرـكـ خـطـورـةـ مـثـلـ هـذـاـ التـنـزـيلـ؛ـ وـيـعـلـمـ أـنـ أـحـادـيـثـ الـفـتـنـ مـنـ الـغـيـبـ الـذـيـ أـخـبـرـ بـهـ رـسـولـ اللـهـ وـمـحاـوـلـةـ الـرـبـطـ بـيـنـ الـوـاقـعـ وـالـحـدـيـثـ فـيـهـ تـقـوـلـ عـلـىـ اللـهـ بـغـيـرـ عـلـمـ؛ـ

وـالـلـهـ تـعـالـىـ يـقـولـ: (قـلـ إـنـمـاـ حـرـمـ رـبـيـ الـفـوـاحـشـ مـاـ ظـهـرـ مـنـهـ وـمـاـ يـأـطـنـ وـالـإـلـهـ وـالـبـغـيـ بـغـيـرـ الـحـقـ وـأـنـ تـشـرـكـوـاـ بـالـلـهـ مـاـ لـمـ يـنـزـلـ بـهـ سـلـطـانـاـ وـأـنـ تـقـولـوـاـ عـلـىـ اللـهـ مـاـ لـاـ تـعـلـمـوـنـ)،ـ أـضـفـ إـلـىـ أـنـ هـذـهـ التـنـزـيلـاتـ فـيـهـاـ فـتـحـ بـاـبـ لـلـطـعـنـ فـيـ الـدـيـنـ مـنـ قـبـلـ الـجـهـلـ؛ـ ذـلـكـ أـنـ التـنـزـيلـ إـذـاـ كـانـ خـاطـئـاـ،ـ تـجـأـرـ الـمـخـالـفـ لـلـطـعـنـ فـيـ الـسـنـةـ وـتـكـنـيـبـ صـاحـبـهاـ عـلـىـ أـفـضـلـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ،ـ لـأـنـهـ لـاـ يـفـرقـ بـيـنـ نـسـبةـ الـخـطـأـ لـلـأـفـرـادـ وـنـسـبـتـهـ لـلـدـيـنــ.

ولـتـنـزـيلـ أـحـادـيـثـ الـفـتـنـ مـنـهـجـيـةـ دـقـيـقـةـ فـيـ الـتـعـاطـيـ مـعـهـاـ،ـ إـلـيـكـ أـبـرـزـ مـعـالـمـهـاـ:

- أولها أن النظر في هذه الأحاديث وظيفة الراسخين في العلم؛ لأنهم المنوطون بالنظر في النوازل وآثارها والتعامل معها فقهاً وواقعاً، ولا يسوغ للصغار الذين لا يعرفون من العلم إلا الآتاييس التي ينتزعنها من بطون الكتب ولا يمحضون أسانيدها ولا يعرفون ضوابطها أن يخوضوا في ما لا يعلمون.

- كما أنه لا بد من التثبت من صحة النص سندًا ومتناً؛ لأن أحاديث الفتن دخلها كثير من الضعاف والموضوعات، وروى الإمام الخطيب في (الجامع) (162/2) عن الإمام أحمد: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير» وقد فسر الإمام الخطيب مقصود الإمام أحمد من ذلك، فقال: «وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها، لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها. فأما كتب الملاحم، فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتبة، والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول من وجوه مرضية، وطرق واضحة جلية».

- عدم التكلف في ربط الحديث بالواقع،ولي عنق النص ليتماشي مع الحال؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم نص على البيان في مثل هذه النصوص ليستبين أمرها، ويرفع الالتباس حتى على عامي الناس، وفي أحاديث صفة الدجال كمثال يقف على الشرح المفصل الدقيق، منها ما أخرجه أحمد (135/2): **«ألا ما خفي عليكم من شأنه فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور»**، وتأمل لفظة «فلا يخفين».

- مراعاة البعد الزمني وترتيب الأشرطة، فلا يصح أن يستعجل شرط قبل أوانه أو يقدم على واحد من أقرانه، وحديث الملhma المتقدم، جاء فيه حديث صححه الألباني في صحيح الجامع (3975) عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«عمran بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملhma، وخروج الملhma فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال»** فكيف تكون الملhma، والمدينة ما زالت عامرة!

- أن العلماء لم يكونوا ينزلون حتى تنقضى الحوادث وتطابق الحديث الذي صح في جميع الأوصاف، كحديث تنازل الحسن عن الخلافة، والنار التي تخرج من بصرى وغير ذلك.

ختاماً العاقل من لم يشتغل بتحليل الأحداث وتنزيل الأحاديث، وإنما اشتغل بما يجب عليه في الفتنة، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

المصادر: